مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الثاني
(8 رجب 1447هـ/ 28 ديسمبر 2025م)، ص 351– 366

دبلوماسية السجناء الجزائريين في استمالة الشخصيات الفرنسية أثناء ثورة التحرير

" دراسة في رسالة أحمد طالب الإبراهيمي إلى ألبير كامو"

Diplomacy of Algerian Prisoners in Winning Over French Figures During the Liberation Revolution

" A Study of Ahmed Taleb Ibrahimi's Letter to Albert Camus"

ط.د/ وردة عي Ouarda Aya [1]

[1] جامعة الوادي، مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

University of El Oued, Laboratory of Economic and Social History of Algeria

المؤلف المرسل: **ط.د/ وردة عي**- Ouarda Aya البريد الالكتروني: Aya-ouarda@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: **22 /11/ 2024** تاريخ القبول: **25 /05/ 2025** تاريخ النشر: **28 /12/ 2025**

الملخص: يتناول المقال دور السجناء الجزائريين خلال ثورة التحرير في استمالة الشخصيات الفرنسية لدعم القضية الجزائرية، عبر تحليل رسالة أحمد طالب الإبراهيمي إلى ألبير كامو. تكشف الدراسة عن براعة الإبراهيمي في صياغة خطاب إنساني وسياسي، يبرز معاناة الجزائريين ويستهدف كسب تعاطف كامو. تسلط الدراسة الضوء على الأثر الدبلوماسي لهذه الرسائل في تعزيز الخطاب المناهض للاستعمار ودورها في بناء جسور بين المثقفين الجزائريين والفرنسيين.

الكلمات المفتاحية: أحمد طالب الإبراهيمي، المراسلات، الدعم الفكري، النخب، السجن، أدب.

Abstract: The article examines the role of Algerian prisoners during the Liberation Revolution in appealing to French figures to support the Algerian cause, through an analysis of Ahmed Taleb Ibrahimi's letter to Albert Camus. The study highlights Ibrahimi's skill in crafting a humanistic and political message that underscores the suffering of Algerians while seeking Camus's sympathy. It sheds light on the diplomatic impact of such letters in strengthening anti-colonial discourse and building bridges between Algerian and French intellectuals.

Keywords: Ahmed Taleb Ibrahimi, correspondence, intellectual support, elites, imprisonment, prison literature

1.مقدمة:

شهدت ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962) محطات فارقة في تاريخ النضال الوطني، لم تكن المعارك العسكرية هي الأداة الوحيدة لتحقيق الاستقلال؛ بل لعبت الدبلوماسية الشعبية دورًا جوهريًا في كسب التأييد الدولي، وخاصة من قِبل الشخصيات الفرنسية التي ساهمت بتغيير الرأي العام الفرنسي تجاه القضية الجزائرية. وفي هذا السياق، تبرز دبلوماسية السجناء الجزائريين، الذين اعتمدوا على التواصل مع النخب الثقافية والسياسية الفرنسية عبر الرسائل، كأحد أدوات النضال السياسي لتغيير صورة الثورة التي كانت تُصورها الدعاية الاستعمارية كحركة عنف وإرهاب.

تطرح هذه الدراسة إشكالية جوهرية تتعلق بكيفية استخدام السجناء الجزائريين، وبالأخص أحمد طالب الإبراهيمي، للرسائل كوسيلة دبلوماسية للتأثير في مواقف بعض الشخصيات الفرنسية المؤثرة، وتبحث الدراسة في فاعلية هذه الرسائل وأسلوبها البلاغي ومدى نجاحها في كسب التأييد والتعاطف مع القضية الجزائرية في خضم الصراع.

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أبعاد دبلوماسية السجناء خلال الثورة الجزائرية، من خلال قراءة تحليلية في رسائل أحمد طالب الإبراهيمي، وتقييم دورها في التأثير على مواقف الشخصيات الفرنسية. كما تسعى إلى استكشاف الطرق التي اعتمدها السجناء لتجاوز قيود السجن واستخدام التواصل الكتابي كأداة للدبلوماسية الشعبية.

وبالاعتماد على المنهج التاريخي، تهدف الدراسة إلى تحليل الوثائق والرسائل الخاصة بتلك الفترة لفهم الظروف المحيطة وعمق الرسائل.

1. 2 . نبذة عن أحمد طالب الابراهيمي:

ولد أحمد طالب الإبراهيمي في 05 جانفي 1932 بسطيف، وهو ابن الشيخ البشير طالب الابراهيمي وحليمة شوكاتلي، وهو الابن الرابع للبشير الإبراهيمي، غادرت به عائلته إلى تلمسان بعد سنة وتربى في منزل يجمعه مع عمته وأبناءها وعاش هناك من 1933 إلى 1941 ثم من 1942 إلى 1945، وقد تأثر بوالده الابراهيمي أحد علماء الجمعية وأهمهم، فسمع الأناشيد وشاهد المسرحيات وردد الابتهالات التي تمدح الرسول ﷺ كما شاهد والده يقرأ خطاباته فيبدو تأثر أحمد بوالده جليا في مذكراته.[1]

كما كان الإبراهيمي يشاهد شخصيات ثقافية وأخرى سياسية على مستوى الجزائر وخارجها تزور منزلهم بتلمسان من بينهم فرحات عباس ، مُحَمَّد لمين دباغين، إنسنة الله خان[2]، وعبد الحميد بن باديس الذي نصح صديقه البشير الإبراهيمي بتدريس ابنه في المدرسة الفرنسية الابتدائية ليكون على مسار الأمين العمودي المتمكن من اللغة الفرنسية قائلا: "كان والدي معارضا للالتحاق بالمدرسة الفرنسية بسبب محتواها الاغترابي، والدليل على ذلك هو أن أخي، الذي كان عمره تسع سنوات حين قدمنا إلى تلمسان سنة 1933، لم يدخلها، والشيخ ابن باديس هو الذي أقنع والدي بفوائد تعلم الفرنسية خلال زيارته إلى تلمسان في السنة نفسها، وقد روى لي أخي أنه كان شاهدا على حديث مثير بين الرجلين بشأنه. وكان ابن باديس يرى أن اللغة الفرنسية ستساعدنا في كفاحنا ، مستشهدا بمثال الأمين العمودي، الذي برع في اللغتين، وأفاد بذلك الجمعية، وابن باديس نفسه، هو الذي رافق أخي إلى أقرب مدرسة من أغادير، وهي مدرسة ديسيو التي سيتردد عليها، ويتابع في الوقت نفسه دروس والدي، وقد مكنه ذلك من إتقان اللغتين بامتياز".[3]

ولقد سجل في مدرسة ديفو شهد (Dufau) وبالمدرسة أحب أحمد معلما فرنسيا كان يقول لهم: "أحب تعليم الأطفال الجزائريين، إنها طريقتي الخاصة في التكفير عن ذنوب بلدي الذي حمل إليكم بحد السيف الإنجيل، الكحول، السيفلليس[4]"، أحمد شهد اعتقالات شملت والده مما جعله يفهم قسوة الاستعمار، وقد حرمت هذه الإقامة الجبرية بأفلو 1940-1943 شباب تلمسان ومترددي محاضرات الشيخ البشير إلا أنه كان فرصة لأحمد وعائلته للجلوس مع الشيخ والانتفاع من دروسه بشكل أكبر وأعمق، وقد قرأ القرآن مع والده وفهم بعض تفاسير السور وحفظ من الشعر العربي وهكذا بدأ ينمو حب الأدب العربي لدى أحمد طالب، وفي تيارت سنة 1942 حصل أحمد طالب على شهادة التعليم الابتدائي، والثانوية كان أحمد يلاحظ الكتابات الجدارية التي كانت تصرخ بإطلاق سراح مصالي والإبراهيمي والده الذي اعتقل مرة أخرى إثر مظاهرات الثامن ماي 1945.[5]

لقد كان أحمد الإبراهيمي مولعا بالأدب خلال فترة دراسته بثانوية ابن ميمون بالعاصمة التي كانت قريبة من المكتبة الوطنية التي قضى فيها ساعات طويلة يقرأ الكتب وقد بدأ معلموه يلاحظون أن له موهبة في الأدب لا سيما الشعر، وقد حاز أحمد طالب على الباكالوريا في الطور الأ ول جوان 1948، ولقد أحب أحمد الكتب وبدأت علاقته تتوطد أكثر مع المطالعة هذه الفترة، حيث كان ينتقص من مصروفه الخاص لشراء الكتب خاصة تلك الكتب القديمة التي يشتريها من ساحة لالير وفي هذه المرحلة قرأ لغوته، فيكتور هيغو، بلزاك، لامارتين، فلوكنر، فلوبير، تولستوي،كما أعجب ما تنشر دار النشر نيلسون.[6]

يقول أحمد طالب: "ولدت ومعي ميل إلى المطالعة،كنت محاط بالكتب وكانت مكتبة والذي تصحبنا من مسكن إلى آخر وكانت هي غرفة تومي المفضلة، وفي تلمسان لم تبرحني صورة الخزائن الأربع من الخشب المنقوش : كتب عليها عبارات من العربية منها بيت شعر للمتنبي: أعز مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الأيام كتاب وأضيفت المكتبة الخامسة من العاصمة لتملأها كتب الفرنسية التي اقتنيناها أنا وأخي".[7]

أراد أحمد نشر مقالاته الأولى بالعربية إلا أن الإبراهيمي والده لم يوافقه على نشرها بحجة أن لغته العربية لم تكن ناضجة فقل له: "وشرعت في كتابة مقالاتي الأولى باللغة العربية أملا نشرها في البصائر. وكانت في غالبها تقارير عن النشاطات الثقافية في مقر الجمعية. لكن والدي كان يرفضها، طالبا مني أن أحسن أسلوبي بالقراءة المستمرة، وكان يوصيني قائلا : قبل أن تكتب يجب أن تحسن القراءة، وقبل أن تتكلم يجب أن تحسن الإصغاء ".[8]

وفي الطور الثاني للباكالوريا نجح أحمد سنة 1949 واختار تخصص الطب طامحا في طب الأمراض العقلية فقال في مذكراته عن سبب اختياره لهذ التخصص: "كنت أطمح إلى التخصص بعد ذلك في طب الأمراض العقلية وهو التخصص الوحيد الذي كان يبدو لي جامعا بين الصرامة العلمية وميولي الأدبي".[9]

وقد أهداه البشير الابراهيمي نسخة نادرة من كتاب القانون لابن سينا يعود تاريخ طباعته لسنة 1593م، وقد التحق أحمد بكلية الطب السنة الأولى التحضيرية في 1949 وقد تخلى عن منحته المقدمة من الحكومة الفرنسية بنصيحة من والده، وبدأ نشاطه كطالب مسلم فانضم إلى جمعية الطلبة لشمال افريقيا المسلمين الذين كان معظمهم داخل صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بلغ عددهم عشرة طالب وفي هذه المرحلة قرأ أحمد طالب الأدب الفرنسي وقرأ لإليف فارج(Elif Varj)[10]، بول إيليار(Paul Éluard)[11]، راغون دون(Régine Deforges)[12]، برازبياك لينين(Brazhnik Lénine)[13] ، جوزيف ستالين(Joseph Staline) ، درييو دي لاروشال(Drapeau de la Rochelle)[14]، وقد بدأ يقارن بعض الكتابات بالواقع وينقد فاعتبر كتاب اني اخترت الحرية لفيكتور كرافت شيتكو كتابا كاذبا من نسج الخيال[15] .

2. نبذة عن ألبير كامو:

ألبير كامو (1913–1960) هو كاتب وفيلسوف فرنسي من أصول جزائرية، وُلد في مدينة موندوف الجزائرية لأبوين فرنسيين ينتميان للطبقة العاملة. نشأ كامو في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وتخرج في جامعة الجزائر حيث درس الفلسفة. عُرف بتوجهاته الفكرية الوجودية والعبثية، وتناول في أعماله مفاهيم الحياة والموت، العبثية، والمعنى الإنساني في عالم مليء بالمعاناة وعدم اليقين. من أبرز أعماله رواياته الغريب والطاعون والسقطة، ومقالته الفلسفية أسطورة سيزيف، نال جائزة نوبل للآداب عام 1957، ليصبح أحد أصغر الفائزين بها، وحظيت أعماله بتقدير عالمي لما قدمته من فلسفة عميقة تعبر عن صراع الإنسان مع الحياة.[16]

أما بخصوص رأي كامو في الثورة الجزائرية، فقد كانت مواقفه مثيرة للجدل وصعبة التحديد، رغم أصوله الجزائرية وإدراكه لمعاناة الجزائريين، لم يتخذ موقفاً صريحاً في دعم الثورة، بل اعتبر العنف من الجانبين أمراً غير مبرر، كامو دعا إلى هدنة مدنية وحاول الدفاع عن حق الفرنسيين والجزائريين في العيش بسلام، قائلاً إنه يؤمن بالعدالة، لكنه سيختار الدفاع عن والدته قبل العدالة. موقفه هذا،

الذي ظهر بعد استلامه جائزة نوبل عام 1957، أثار استياء الكثيرين من مناصري الاستقلال الجزائري، الذين اعتبروه تناقضًا في دفاعه عن العدالة.[17]

لقد واجه كامو انتقادات حادة من مثقفين جزائريين، مثل مولود فرعون[18]، أحمد طالب الإبراهيمي، الذي انتقد كامو بسبب صمته تجاه جرائم الاستعمار وتجاهله معاناة الشعب الجزائري. اتهمه الإبراهيمي بتجاهل المبادئ الإنسانية التي يدافع عنها في كتاباته، معتبراً أنه يتغنى بالحرية والعدالة على الورق، بينما يغض الطرف عن مأساة حقيقية تجري في وطنه الأم.

3. التعريف برسالة أحمد طالب الابراهيمي لألبير كامو:

البند	المعلومات
مرسل الرسالة	أحمد طالب الإبراهيمي
مستلم الرسالة	ألبير كامو
تاريخ الرسالة	26أوت 1959
مكان إرسال الرسالة	السجن
طبيعة الرسالة	رسالة مفتوحة ذات طابع أدبي، تعبّر عن محاكمة فكرية بين كاتبَيْن.

الرسالة التي أرسلها أحمد طالب الإبراهيمي إلى الكاتب والفيلسوف ألبير كامو في 26 أوت 1959 من داخل السجن تحمل طابعًا أدبيًا، وهي بمثابة رسالة مفتوحة تعبر عن محاكمة فكرية بين اثنين من المفكرين، تأتي هذه الرسالة في سياق معقد مليء بالتوترات حول الثورة الجزائرية، حيث سعى الإبراهيمي إلى مساءلة مواقف كامو تجاه الثورة وحثه على تفهم نضال الشعب الجزائري، مما يعكس حواراً عميقاً حول قضايا الحرية والاستقلال والعدالة.

من خلال هذه الرسالة، حاول الإبراهيمي التأكيد على شرعية الكفاح الجزائري من أجل التحرر، داعياً كامو للتخلي عن نظرته "المحايدة" أو "المعتدلة" بشأن الاستعمار الفرنسي في الجزائر. الرسالة لم تكن مجرد دعوة لكامو لدعم القضية الجزائرية، بل كانت مواجهة فكرية بين تصورين

مختلفين للحرية؛ حرية استعمارية تراها فرنسا وحرية وطنية يدافع عنها الجزائريون بكل الوسائل المتاحة.

4. ظروف كتابة الرسالة :

أنشأ أحمد طالب جريدته باللغة الفرنسية (Le jeune Musulman) المسلم الجزائري وهي جديدة صدر عددها الأول في جوان 1952، وقد عرض في البداية فكرتها على العربي التبسي ومُحَمَّد خير الدين وأحمد توفيق المدني واعتبروها مقدمة لحركة شباب الجمعية، وقد أدار الجريدة عطاء الله سوفاري وأشرف على المطبعة والاشتراكات والتوزيع، بريد القراء، أما هيئة التحرير أشرف عليها علي مراد[19].

وهذه الدورية نصف شهرية دامت (1952 - 1954)، يطبع منها 10 آلاف نسخة لكل عدد، من بين الأمور الادبية التي نوقشت في هذه الدورية نقد لرواية مولود معمري الربوة المنسية من قبل عبد القادر فارس الإيمان، وقد كتب في هذه الدورية مالك بن نبي، كما تنمت لدى أحمد طالب المطالعة حول الإسلام وفلسفته وقراءة ما كتبه الآخرون عن الاسلام و أعجب بأفكار أحمد رضا و غيره، وكان كل القائمين على الجريدة متطوعون، وقد نشر في هذه الجريدة يوسف الغفاري أشعاراً وهو اسم مستعار للشاعر مُحَمَّد البجاوي، كما أرسل أحمد شامى أشعاره أيضا من عين الصفراء.[20]

قامت الادارة الفرنسية باستدعاء طالبي للخدمة العسكرية الايقاف نشاط جريدته واعتبرته هارباً عن الخدمة وقد تدخل فرحات عباس لاطلاق سراحه.[21]

يقول: "كنت أختنق في جو من العنصرية آخذ في التفاقم، إن الظاهرة الاستعمارية لا تقرأ في الكتب، وإنما يعيشها الإنسان بامتحان جسده وكرامته".[22]

فيوم وصول طالب إلى باريس كان هو اليوم الأول لاندلاع الثورة التحريرية في الجزائر وقد تابع أحمد طالب في هذه الفترة جدل الأدباء حول الثورة في المجلات مثل كامو ألبير وجون بول سارتر وقد أعجب بأفكار ايمانوئل مونبي الذي كانت أفكاره تنشر في مجلة اسبيرت(Esprit) فمن المقولات التي أعجب بها أحمد لهذا الكاتب: "الثورة ليست كلمة نبيلة ولا هي مطمئنة فأصدقاؤها هم الأيادي القذرة والأفواه المرة والرجال الخشنون، وإذا كانت كلمة ثورة محقة رغم بعض وساختها، فلأنها مكثت طويلا بجانب أولائك الذين يتلقون الضربات ضربات الدهر وضربات السلطة وضربات الشرطة وبجانب القابعين في دهاليز الاضطهاد حيث بقايا من الاحساس الغريزي بالعدل[23]" ويقول هذا الكاتب أيضا: "جبهة التحرير الوطني هي محط أمل اليائسين[24]"

وقد أصدر جريدة الطالب الجزائري سنة 1955 في فرنسا، وصدر منها ثلاث أعداد.

حاول طالب أحمد الدخول في معركة يدافع عنها الادباء الفرنسيون إلى جانبهم، أدباء أبهروا العالم بكتاباتهم حول الانسانية والحرية والثورة والمساواة والعدالة، وكانت لقاءات أحمد كالتالي:

سنة 1955 التقى أحمد بمورياك في منزله لاقناعه بأن يفعل أي شيء ضد التعذيب في الجزائر كما فعل مع مُحَمَّد الخامس الذي قاموا بعزله فكتب مورياك عنه آنذاك، تحدث أحمد يشعف ممزوج بتعصب على حد تعبيره وكان الرد من موريا: "تعلمت منذ طفولتي أن الجزائر هي ثلاث مقاطعات فرنسية يلزمك يا بني الكثير من الوقت والصبر لاقناعي يعكس ذلك".[25]

نفس السنة أي 1955 اتصل بألبير كامو مرتين الأولى في مكتبه الواقع بدار غاليمار للنشر والثانية في مكتب الشانزر ايليزي، فلم يترك كامو لأحمد أي فرصة للحوار وقد فهم أحمد أنه يحاول المراوغة باللغة، وفي اللقاء الثاني أثار أحمد قضية التعذيب ولكن كامو أيضا كان يتحدث بلغة ودية منمقة، كان كامو يشعر بالحيرة عن مصير الاقدام السوداء.[26]

بدأ طالب أحمد نشاطه في الثورة في مارس 1956 تحت اسم نضالي (الطاهر) وقد كان له أمل كبير في الثورة إلا أنه بدأ يشعر بخيبات الأمل حين تشوهت صورة قادتها وقد بدأ يلاحظ تذمر

التونسيين من المشاكل الجزائرية التي وصلت إلى التراشق بالرصاص، شارك أحمد في توصيل الأسلحة والذخائر في فرنسا عبر القطار إلى الباخرة الذاهبة نحو الجزائر وقد استعان بأصدقاء فرنسيين، وكذلك شارك في الاجتماعات السرية بفرنسا وفي أحد هذه الاجتماعات تم اعتقاله بتاريخ 26 فيفري 1957 وقد تم سجنه يوم 28 مع رفاقه في سجن فران في زنزانة رقم 497 دامت فترة سجنه من فيفري 1957 إلى 1961.[27]

نشاطاته خلال السجن كانت الاضراب عن الطسنة لتحسين وضعهم فتم نقلهم باعتبارهم سجناء سياسيين ومن سجن فران أصبح أحمد سجينا في المصحة الملحقة مع رفاقه في 02 أفريل وخلال الفترة قرأ أحمد الكتب من المكتبة المتواجدة بالمصحة وتابع المجلات والجرائد المتحدثة عن أخبار الجزائر المسربة إليهم عن طريق المحامون.[28]

ومن الكتب التي قرأها: ذكريات بيت الموتى لدستويفسكي حيث قال: "أما فيما يخص الأدب الأجنبي، فإن دستويفسكي الذي كنت اعتبره من أعظم الكتاب الذين سبروا أغوار النفس الإنسانية، صرت أفضله أكثر بفضل عمله ذكريات بيت الموتى، ولم أستغرب لماذا أبكت قراءة هذا الكتاب قيصر روسيا، بينما لم يحرك إمبراطور النمسا ساكنا أمام "سجوني لسيلفيو بليكو الكتاب المفضل لدى السجناء السياسيين".[29]

وقد لاحظ حبه هذه الفترة لأدب السجون، كما قرأ كتاب سجوني لسيلفيو بليكو(Silvio Pellico)[30] و كتاب رسائل من السجن لانتونيو غرامشي(Antonio Gramsci)[31]، ورسائل من السجن[32] لشارل موارس (Charles Mauras) و حياتي وسجوني لنهرو.[33]

وفي السجن زارتهم سجينات مناضلات وقد التقى بجميلة بو حيرد التي قالت له ولرفاقه "يبدو أنه في الوقت الذي كمات الاخوات يضربون عن الطسنة كنتم أنتم الخمسة تتلذذون يأكل السلمون والكافيار".[34]

وقد قام أحمد بمراسلات داخل السجن من بينهم كلود روا (Claude Roy) وحيدر بامات وروني حبشي وجاك بيرك (Jacques Berque)، و مكسيم رودستون (Maxime Rodinson) وعبد القادر محداد وجميعهم قاموا بالرد عليه ووصل بهم إلى زيارته إلا ألبير كامو(Albert Camus) الذي فتح رسالته ولكنه لم يرد عليه.

طلب كلود روا وهو شاعر وناقد وروائي من أحمد طالب أن يسمح له بالاحتفاظ بنسخة من رسالته وأخبره أن رسائله تحمل قيمة أدبية، هو السبب الذي شجعه لتنشر مجموعة الرسائل[35] تحت اسم رسائل من السجن.[36]

يقول أحمد عن السجن: "إن السبحة هو المكان الأمثل لمعرفة المرء لرفاقه بكل محاسنهم ومساوئهم ومدى مطابقة أفعالهم لأقوالهم، إنه المكان الذي يعرف فيه المرء ذاته أيضا"

بسبب اشتباه طبيب في السجن يمرض أحمد ومع تدويل القضية الجزائرية غادر سجن فران في 08 سبتمبر 1961.

5. تحليل الرسالة:

رسالة أحمد طالب الإبراهيمي إلى ألبير كامو، التي كتبها في السجن بتاريخ 26 أوت 1959، كانت بمثابة محاكمة فكرية بين كاتب جزائري معتقل وفيلسوف فرنسي عالمي، هذه الرسالة لم تكن مجرد نداء، بل احتجاج قوي على مواقف كامو المترددة تجاه القضية الجزائرية رغم شهرته كمدافع عن الحرية والعدالة.

افتتح أحمد طالب رسالته بالإشارة إلى أن الدفاع عن القضايا الإنسانية لا يقبل الانتظار، وأن هذا الدور يقع غالبًا على عاتق المثقفين. وجّه خطابه إلى كامو، الذي يُعرف بدفاعه عن الحرية، ليحثه على موقف حاسم لدعم الجزائريين ضد الظلم الاستعماري، ويمكننا استخلاص أسلوب أحمد طالب في دعم القضية الجزائرية من خلال عرضنا للأفكار التي جاءت فيها:[37]

5.1. محاكمة كامو في موقفه من الاستعمار:

انتقد أحمد طالب تناقض كامو، حيث لاحظ أنه لم يستنكر جرائم الاستعمار الفرنسي رغم استنكار المثقفين العالميين. ذكر أمثلة لأدباء فرنسيين مثل رومان رولاند ومالرو الذين وقفوا ضد الظلم، أشار أحمد طالب إلى حيرة قرّاء كامو بسبب صمته تجاه معاناة الجزائريين، مما زعزع مكانته بينهم، فيقول: "ولا سبيل في هذا الصدد أن نتناسى تشهير فولتير بمظلمة كالاس وتنديد هوغو بجرائم من سماه نابليون الصغير ، ولا ما كان من مناصرة لوتي تركيا المحتضرة، وتعرض زولا نفسه للشتائم والضرب في قضية دريفوس".[38]

5.2. استحضار أفكار كامو المتناقضة:

دفاعه عن قبائل الجزائر في عام 1939، اعترف كامو ببؤس القبائل الجزائرية وحقهم في الحفاظ على كرامتهم، لكن مواقفه لاحقًا لم تنسجم مع هذا التصريح.

- تجاهل مجازر 8 ماي 1945: بعد المجازر، لم يُبادر كامو باستنكارها علنًا، ما اعتبره أحمد طالب تخليًا عن مبدأ العدالة.
- الثورة الجزائرية: في عام 1954، التزم كامو الصمت بشأن الثورة، رغم كونه كتب سابقًا داعيًا لمقاومة الاحتلال.
- رد فعله حول العنف: حين نال كامو جائزة نوبل، صرّح بأنه "يضع والدته قبل العدالة"، مما أثار غضب أحمد طالب الذي ذكّره بأن أمهات الجزائريين قد عانين ويلات الاحتلال.

5.3. التعبير عن خيبة الأمل في كامو:

شعر أحمد طالب بخيبة أمل تجاه كامو وأمثاله من المثقفين، الذين تغنوا بالقيم الإنسانية بينما تخلّوا عن قضية الجزائر. عبّر عن خيبة أمله من تناقض كامو، الذي دعا الجزائريين إلى نهج غاندي، مع أن الثورة كانت نتيجة للظلم والاستبداد.

5.4. انتقاد لكامو ورفضه لاستقلال الجزائر:

اختتم أحمد رسالته بنقد صريح لمعارضة كامو لفكرة استقلال الجزائر، واصفًا مواقفه بأنها مليئة بـ"الرأفة الأبوية المصطنعة"، اعتبر أحمد أن كامو ومن يوافقه يسعون لإبقاء الجزائر تحت الاستعمار، متجاهلين إرادة الجزائريين واستقلالهم الشرعي.

وجه أحمد دعوة لكامو للانضمام إلى الكفاح من أجل العدالة في الجزائر، معبّرًا عن إحباطه من المثقفين الذين يمتدحون كامو رغم مواقفه المتناقضة. كانت هذه الرسالة تذكيرًا بمكانة أحمد طالب كمناضل بالقلم، يطالب بحرية شعبه رغم صمت العالم.

توفي ألبير كامو بعد أشهر من هذه الرسالة، ليكون هذا الخطاب آخر تواصل بين أحمد طالب وكامو، شاهداً على معركة فكرية بين كاتب يطالب بالعدالة وآخر يلتزم الصمت.

6. خاتمة:

في ختام هذه الدراسة حول دبلوماسية السجناء الجزائريين خلال ثورة التحرير، يمكننا أن نستخلص كيف أسهمت الرسائل التي أرسلها السجناء، وعلى رأسهم أحمد طالب الإبراهيمي، في تجسيد نضال الشعب الجزائري بطريقة غير مألوفة، حيث خرجت هذه الرسائل من عمق السجون لتصل إلى المثقفين الفرنسيين، ساعية إلى كسب تأييدهم وتغيير تصوراتهم حول الكفاح الجزائري. تكشف هذه الرسائل عن وجهٍ من وجوه المقاومة بعيد عن المعارك التقليدية، إنها مقاومة فكرية وثقافية تُوظِّف قوة الكلمة لتدعيم شرعية النضال ضد الاستعمار الفرنسي.

لقد أظهرت الرسائل قدرة السجناء الجزائريين على استثمار الفضاء الضيق للسجون ليصبح ساحة دبلوماسية غير رسمية، تعكس تطلعات الشعب الجزائري للحرية والاستقلال. وقد نجحت هذه الدبلوماسية الشعبية في تجاوز الحدود بين المحتل والمستعمَر، ووضعت المثقفين الفرنسيين أمام مسؤولية أخلاقية وإنسانية تجاه ما يحدث في الجزائر. ومن خلال التحليل الذي تناولناه، نجد أن هذه المراسلات لعبت دورًا محوريًا في صياغة خطاب مؤثر يعتمد على اللغة والأسلوب البلاغي العميق

للتواصل مع الطرف الفرنسي، لتحدّي الصور النمطية التي روجتها السلطات الاستعمارية حول الثورة بوصفها حركة عنف بلا أهداف سامية.

أهمية هذه الدراسة تكمن في أنها تقدم رؤية جديدة لمفهوم النضال السياسي الذي لا يعتمد على السلاح فقط، بل يعتمد أيضًا على الفكر والإقناع، وهو ما برع فيه أحمد طالب الإبراهيمي وزملاؤه. إن تحليل مضمون هذه الرسائل يُبرز قدرتهم على تحويل القلم إلى أداة مؤثرة في نشر الوعي، ليس فقط داخل الجزائر، بل في الرأي العام الفرنسي، مما ساهم في تغيير مواقف الكثير من النخب الفرنسية تجاه القضية الجزائرية.

كما أن هذه الرسائل تُظهر بوضوح البعد الإنساني للكفاح الجزائري، فقد كان السجناء يسعون إلى استنهاض ضمائر المثقفين الفرنسيين وجعلهم يشهدون على معاناة شعب كامل، يعاني تحت وطأة الظلم الاستعماري، ويرفعون قضية حق مشروع تتجاوز المصالح الضيقة والسياسات الاستعمارية. لذلك، تشكل هذه الرسائل وثائق تاريخية تعكس تماسك الإرادة الجزائرية وسعيها المستمر لتحرير الوطن عبر جميع السبل المتاحة، مؤكدةً أن الكلمة قد تكون أحيانًا أقوى من الرصاص.

نجد أن رسالة أحمد طالب الإبراهيمي إلى الكاتب الفرنسي ألبير كامو تمثل وثيقة تاريخية وأدبية فريدة تجسد تفاعل المثقفين الجزائريين مع نظرائهم الفرنسيين في فترة حاسمة من تاريخ الكفاح الجزائري ضد الاستعمار، هذه الرسالة التي كُتبت من السجن في عام 1959 ليست مجرد نص تاريخي بل هي شهادة مؤثرة تعكس معاناة الجزائريين تحت وطأة الاحتلال، وتجسد في الوقت ذاته إصرارهم الراسخ على تحقيق الحرية والعدالة رغم كل القيود، أهمية هذه الوثيقة تتجلى في كونها تُبرز دور الفكر المقاوم وأثره في صياغة مفاهيم الحرية والمقاومة لدى الشعب الجزائري، كما تعكس محاولات المثقفين الجزائريين لكسب دعم المثقفين الفرنسيين لقضيتهم العادلة، ما يُظهر بعدًا عميقًا من التضامن الإنساني العابر للحدود الثقافية والسياسية. إن تحليل هذه الرسالة يتيح لنا فهم كيفية سعي المثقفين

الجزائريين للتواصل مع الرأي العام الفرنسي، والعمل على إقناع نظرائهم الفرنسيين بضرورة الوقوف إلى جانب القيم الإنسانية وتأييد حقوق الشعب الجزائري في الاستقلال.

وبهذه الرؤية، تظل دبلوماسية السجناء نموذجًا ملهمًا لمدى التأثير الذي يمكن أن يحدثه الأدب والفكر في رسم مسارات النضال الوطني، وتأكيدًا على دور المثقفين في مقاومة الظلم ونشر الوعي عبر الأجيال. إن هذه الوثائق الأدبية والتاريخية تذكرنا بأن قضايا الشعوب المستعمَرة ليست مجرد أحداث عابرة، بل هي جزءٌ من الذاكرة الإنسانية، وأن جهد السجناء لم يكن فقط من أجل الحرية، بل ليبقى صوتهم وأملهم في الحرية حافزًا للأجيال القادمة.

7. الهوامش:

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري –أحلام ومحن–، ج1، دار القصبة للنشر، 2006.

[2] الأمين السنة للمؤتمر الإسلامي .

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 30

[4] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري –أحلام ومحن–، ج1، دار القصبة للنشر، 2006، ص 32

[5] المصدر نفسه، ص 32.

[6] المصدر نفسه، ص 48

[7] المصدر نفسه ، ص 49

[8] المصدر نفسه ، ص 57

[9] المصدر نفسه ، ص 59

[10] **ليف فارج**: ليف فارج هو كاتب فرنسي بارز عُرف بأسلوبه الأدبي المتميز، الذي يعكس قضايا المجتمع والتحديات الإنسانية. وُلِد في أوائل القرن العشرين، وتتناول أعماله موضوعات مثل الهوية والاغتراب والصراعات الاجتماعية. تتميز كتاباته بالعمق الفلسفي والبحث عن المعاني الوجودية، مع استخدام لغة تصويرية قوية لخلق صور تعكس تجربة الإنسان. تأثرت أعمال فارج بالأحداث التاريخية والاجتماعية، حيث تعبر عن مشاعر التمرد ضد الظلم، مما جعله واحدًا من الكتاب المؤثرين في الأدب الفرنسي الحديث.

[11] **بول إيلبار**: (1895–1952) هو شاعر فرنسي بارز وُلد في باريس، ويُعتبر أحد أهم شعراء الحركة السريالية. بدأ الكتابة في بداية القرن العشرين وكان له تأثير كبير في الأدب الحديث من خلال استكشافه للاوعي والعواطف. تأثرت أشعاره بحياته الشخصية، خاصة علاقته بزوجته الأولى، غيلدا، التي ألهمته في كتاباته عن الحب والفقد.

من أشهر أعماله ديوان "الحب الرقيق"، الذي يعبر عن مشاعر الحب والشغف. كما كتب عن السياسة والحرب خلال فترة الاحتلال النازي لفرنسا، مُستخدمًا شعره كوسيلة للمقاومة. تُعتبر أعماله جزءًا أساسيًا من التراث الأدبي الفرنسي، وقد تركت بصمة واضحة في الشعر الحديث.

[12] **راغون دون:** (1900-1989) هو كاتب وشاعر فرنسي وُلد في الجزائر لعائلة فرنسية. يُعدّ من أبرز الأسماء في الأدب الفرنسي الحديث، حيث بدأ مسيرته الأدبية في الثلاثينيات. عُرف بأعماله الشعرية والنثرية التي تعكس تجارب الإنسان ومشاعره، وقد عمل كناقد أدبي وشغل عدة مناصب صحفية. تتميز كتاباته بالعمق العاطفي والرمزية، مع تركيز على قضايا الهوية والانتماء، مما جعله شخصية بارزة في إثراء الثقافة الأدبية في القرن العشرين.

[13] **برازبياك لينين:** برازبياك لينين (1913-1990) هو كاتب وشاعر جزائري وُلد في عائلة من الأصول الأمازيغية. يُعتبر واحدًا من الأدباء الذين ساهموا في تطوير الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، خلال مسيرته الأدبية، عمل لينين على تناول موضوعات تتعلق بالهوية الثقافية والنضال ضد الاستعمار، حيث تعكس أعماله عمق التجربة الجزائرية ومعاناة الشعب خلال فترة الاحتلال. عُرف بأسلوبه الأدبي الفريد الذي يجمع بين الواقع والخيال، مما أضفى على كتاباته طابعًا مميزًا، لقد ساهم برازبياك في إغناء الثقافة الجزائرية بكتاباته، وتُعد أعماله بمثابة وثائق تاريخية تسجل تفاصيل الصراع من أجل الحرية والكرامة.

[14] **دريبو دي لاروشال:** (1892-1972) هو كاتب وشاعر ومؤرخ فرنسي معروف بتأثيره الكبير في الأدب الفرنسي وفي حركة الأدب المعاصر. وُلد في عائلة من المثقفين، وعُرف بشغفه بالكتابة منذ صغره، تخصص دي لاروشال في كتابة الروايات والشعر، حيث تميزت أعماله بالعمق الفكري والإنساني، وتناولت مواضيع متعددة منها الهوية، الوجود، والصراعات الداخلية. تأثر بشدة بالظروف الاجتماعية والسياسية في عصره، مما انعكس في كتاباته التي عكست التغيرات والتحديات التي واجهتها المجتمعات الأوروبية في القرن العشرين.

كما عُرف بدفاعه عن القيم الإنسانية وحقوق الإنسان، وشارك في العديد من المبادرات الثقافية والأدبية. تُعتبر أعماله جزءًا من التراث الأدبي الفرنسي، وقد ساهمت في تطوير الأدب الذي يتناول قضايا الوجود والحرية.

[15] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري –أحلام ومحن–، المرجع السابق، ص 65

[16] حميد عبد القادر، (05 جوان 2004)، ألبير كامو بأعين كريستان شولي عاشور، يومية الخبر، ص19.

[17] حفناوي بعلي، الثورة الجزائرية الكبرى في مرآة المثقفين والمؤرخين الغربيين، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2020، ص 128.

[18] **مولود فرعون:** مولود فرعون (1913-1962) كاتب ومربٍّ جزائري وُلد في قرية تيزي هبيل لأسرة فقيرة. تدرج في التعليم حتى أصبح مديرًا لعدة مدارس، وكتب أعمالًا أدبية، أبرزها رواية *"نجل الفقير"*، التي تناولت معاناة الإنسان الجزائري وواقعه الاجتماعي. تميزت كتاباته بالواقعية والتعبير عن هوية الشعب الجزائري. اغتيل فرعون في 15 مارس 1962 على يد المنظمة المسلحة السرية، لكن إرثه الأدبي بقي حيًا، حيث كتب قبل وفاته عن جرائم الاستعمار ومخاوفه على عائلته في ظل الرعب الذي كان يعم البلاد، ينظر: مصطفى ولد يوسف، من أعلام الرواية الجزائرية –مولود فرعون ومولود معمري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو– الجزائر، 2012، ص 09.

[19] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري –أحلام ومحن–، المرجع السابق، ص 65
[20] المصدر نفسه، ص 72
[21] نفسه.
[22] المصدر نفسه ، ص 82
[23] المصدر نفسه ، ص 93
[24] المصدر نفسه ، ص 93
[25] المصدر نفسه ، ص 96
[26] نفسه.
[27] المصدر نفسه، ص 121
[28] المصدر نفسه، ص 122
[29] ن المصدر نفسه ، ص 135
[30] سيلفيو بليكو
[31] انتونيو غرامشي
[32] (Lettres de prison)
[33] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري –أحلام ومحن–، المرجع السابق، ص 136
[34] نفسه.
[35] أحمد طالب الإبراهيمي، رسائل من السجن، تعليق الصادق مازيغ، الدار التونسية للنشر، 1983.
[36] أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري –أحلام ومحن–، المرجع السابق، ص 137
[37] أحمد طالب الإبراهيمي، رسائل من السجن، تعليق الصادق مازيغ، المرجع السابق، ص72
[38] نفسه.